الفن الحربي الإسلامي في

قال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم :
« كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السور من القرآن » .

وعن اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول : يا بني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها » (1) .

اول صفحة في التاريخ العسكري الاسلامي :

في رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى ..

خرج المسلمون وهم قلة في العدد والعدة للقاء قريش وقد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحاد الله وتكذب رسوله ، وبقوة متفوقة تفوقا ساحقا ..

(*) للمجلة تعليق على هذا البحث في العدد القادم .

غزوة بدر الكبرى*

للواء محمد جمال الدين محفوظ

ويكون هذا اللقاء أول مجابهة حربية حاسمة بين المسلمين وكفـار قريش ، انتصر المسلمون فيها على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ، وكان نصرا عجيبا ومدهشا : فما خرج المسلمون يقصدون حربا ، ولا كان لهم مـن القوة البشرية ولا المادية ما يحقق لهم النصر على عدوهم ، وانما كان لهم من مقومات النصر ما هو أمضى سلاحا من كل قوة بشرية ومادية ، كانوا مع الله فكان الله معهم ، وفاضت قلوبهم ايمانا بالله فأيدهم بنصره ... وبنصر الله عز المسلمون وذل المشركون ، ولهذا من الله على المسلمين فقال : « ولقـد نصركم اللـه ببدر وأنتم أذلـة فاتقوا اللـه لعلكم تشكرون » (آل عمران ـ ١٢٣) .

وكانت غزوة بدر هي الركيزة الأولى للدعوة الاسلامية ، وبها مكن الله لدولة الاسلام ، وعليها انبنى كل ما تلاها من غزوات ومعاهدات ، وبذلك كانت أول صفحة في سجل التاريخ العسكري الاسلامي المجيد .

والحق أن هذا التاريخ العظيم لم يحظ بعد بما يتكافأ مع قدره وقدر الأمة الاسلامية من الدراسة والتحليل والتسجيل والنشر ، ومن عجب أن رجال العسكرية في

كثير من الدول العربية والاسلامية يدرسون النظريات العسكرية الأجنبية وأعمال القادة الأجانب ، والتاريخ العسكري للدول الأجنبية ، وكأنه ليس للعرب والمسلمين نظريات عسكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكري يستحق الدراسة ! وأغلب من كتبوا عن التاريخ العسكري الاسلامي من الأجانب ، لم يراعوا الموضوعية في كتاباتهم، ولم يتناولوا بالبحث المناسب الذي تقتضيه الأمانة العلمية الجوانب الفنية للمعارك من زاوية العلم العسكري وفن الحرب ، تلك الجوانب التي تزخر بها معارك الاسلام حقيقة .

ومن هؤلاء من أباح لنفسه ـ بعد أن خلا له الجو ولم يجد من يتصدى له بالحجة الدامغة وبالبرهان العلمي ـ أن يهون من عظمة المسلمين وما أظهروه من عبقرية حربية ، الى حد الادعاء بأن الاسلام لم يضف جديدا في مجال العلم العسكري وفن الحرب (٢) .

والحق أن « العسكرية الاسلامية » تمثل جانبا رائدا من حضارة الاسلام ، فقد عالج القرآن الكريم أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع لها خير المناهج والمبادىء لكل ما يتصل بها من حيث أهدافها وأساليب ادارتها وقوانينها وآدابها . وعلى أساس هذه المبادىء نشأت المدرسة العسكرية الاسلامية مكتملة لكل الأركان التي لا تتسامى اليها أية مدرسة عسكرية أخرى في التاريخ القديم والحديث .

وشهادة التاريخ خير برهان ..

ففي أقل من مائة عام امتدت الفتوحات الاسلامية من الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، واستطاع المسلمون ـ وهم أبناء الصحراء ـ ركوب البحر وأنشأوا الأساطيل البحرية وهزموا أساطيل بيزنطة أعظم قوة بحرية في زمانهم .

الاسلام وفلسفة التاريخ :

فما أشد حاجة الأمة الاسلامية ـ وهي تتجه نحو النهضة الحضارية الشاملة ـ الى دراسة التاريخ وفلسفته .. فالمستقبل لا بد له من الماضي ، ففيه العبرة التي يسترشد بها ، والتجارب التي ينتفع بها ، والله عز وجل يقول : « فاعتبروا يا أولي الأبصار » (الحشر ـ ٢) .

ومن هنا نرى القرآن الكريم يقص علينا أحسن القصص لنتعظ ونتدبر فنعرف أحوال القرون الغابرة ، ونتيجة الصراع بين الخير والشر ، يقول الله تعالى :

ـ « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (يوسف ١١١) .

ـ « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (آل عمران ١٣٧) .

ـ « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » (النساء ٢٦) .

ـ « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » (هود ١٢٠) .

ـ « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا » (طه ٩٩) .

وعلينا أن نتأسى في هذا المجال بالمسلمين الأوائل واهتمامهم بدراسة المغازي ، يقول الزهري : في علم المغازي خير الدنيا والآخرة ، وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم : « كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السور من القرآن » ، وعن اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول : يا بني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها » .

سر مشروعية القتال في الاسلام

ولا ريب في أن الدين الاسلامي قام على الحجة والبرهان وظهر على كل الأديان بقوة البيان واعجاز القرآن ، لا بقوة السيف والقهر والجبروت : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .. وقد تظاهرت الأدلة والبراهين على أن الاسلام لم يسل السيف في وجوه أعدائه الا بعد اعتدائهم وبغيهم على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ووقوفهم في طريق الدعوة الى الحق يصدون عن سبيل الله وصراطه

المستقيم ، فلم يشرع القتال حبا في دنيا أو طمعا في مال أو رغبة في سيادة ، وانما شرع لرد الظلم ودفع الأذى والدفاع عن الدعوة وحرية التدين ٠

الأحوال الاستراتيجية قبل بدر :

وقبل أن نتناول غزوة بدر بالتحليل والدراسة لا بد من التعرض للأحوال الاستراتيجية التي سادت في شبه الجزيرة قبل وقوعها :

١ ـ الأفق الاستراتيجي العام :

لقد كان الأفق الاستراتيجي العام مشحونا بالعداء والتربص للاسلام والمسلمين سواء من ناحية قريش التي تريد القضاء على الدين في موطنه الجديد بعد فشلها في القضاء عليه بمكة ، أو من ناحية القبائل المجاورة للمدينة ، أو المشركين والمنافقين في المدينة ، أو اليهود ، لقد كان كل هؤلاء يتربصون بالمسلمين الدوائر ويحاولون انتهاز فرصة سانحة للايقاع بهم وحرمانهم من الحرية في نشر دعوتهم ٠

٢ ـ الأعمال العسكرية التي سبقت الغزوة :

وقد وقعت قبل بدر ، وخلال الفترة من رمضان للسنة الأولى للهجرة الى رجب للسنة الثانية عدة أعمال عسكرية محدودة نلخصها في الجدول التالي :

ولو استعرضنا هذه الأعمال في جملتها يمكن استخلاص ما انطوت عليه من أهداف وما حققته من نتائج كما يلي :

- هدد المسلمون أهم طريق تجارية بين مكة والشام فأصبحت قوافل قريش غير آمنة حين تسلك هذا الطريق ، مما أثر أسوأ الأثر على تجارة قريش التي تعيش عليها ٠

- أثبت المسلمون أنهم أقوياء يستطيعون الدفاع عن أنفسهم تجاه المشركين من قريش والقبائل المجاورة وأهل المدينة وتجاه اليهود ، وأن بامكانهم الدفاع عن عقيدتهم عند الحاجة ٠

اعمال القتال التي سبقت غزوة بدر

المسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين	قائد المشركين	المكان	التاريخ	الهدف	النتائج
١	سرية حمزة	٣٠ رجلا من المهاجرين	حمزة بن عبدالمطلب	٣٠٠ راكب	أبو جهل ابن هشام	العيص	رمضان سنة ١ هـ	الوصولاً إلى العيص على ساحل البحر لتهديد طريق تجارة قريش بين مكة والشام	حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني
٢	سرية عبيدة ابن الحارث	٦٠ رجلا من المهاجرين	عبيدة بن الحارث	أكثر من ٢٠٠ رجل بين راكب وراجل	أبو سفيان ابن حرب	ماء بالحجاز بوادي رابغ	شوال سنة ١ هـ	الوصول إلي وادي رابغ لتهديد تجارة قريش بين مكة والشام	كان بينهم مناوشة ورمي سعد بن أبي وقاص أول سهم رمي به في الإسلام
٣	سرية سعدبن أبي وقاص	٢٠ رجلا من المهاجرين	سعد بن أبي وقاص	—	—	الخزار	ذو العقده سنة ١ هـ	الوصول إلى الخزار لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام	فرت قافلة قريش
٤	غزوة ودان	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى اللهعليه وسلم	—	—	ودان	صفر سنة ٢ هـ	تهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام والعمل على التحالف مع القبائل المسيطرة على هذه الطريق	حالف بنى ضمره
٥	غزوة بواط	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى اللهعليه وسلم	١٠٠ راكب وراجل من قريش	أميةبن خلف الجمحي	بواط	ربيع أول سنة ٢ هـ	الوصول إلى بواط من ناحية جبل رضوي على الطريق التجارية لقريش بين مكة والشام	لم يدرك المسلمون القافلة لسلوكها طريقا غير طريق القوافل المعبرة ، فلم يلق المسلمون كيدا
٦	غزوة ذي العشيرة	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى اللهعليه وسلم	قوةمن قريش وبني مدلج وبني ضمرة	أبو سفيان	العشيرة	جمادي الآخرة سنة ٢ هـ	الوصول إلى « العشيرة » على طريق تجارة قريش بين مكة والشام للتفاهم مع القبائل واظهار قوة المسلمين للمشركين	وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة
٧	غزوة بدر الأولى	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى اللهعليه وسلم	—	كرز بن جابر الفهري	وادي سفوان	جمادي الآخرة سنة ٢ هـ	مطاردة قوات المشركين وتخليص الغنم والابل المنتهبة	لم يدرك المسلمون كرز بن جابر
٨	سرية عبدالله ابن جحش	١٢ رجلا من المهاجرين	عبد الله بن جحش	٤ رجال	عمرو بن الحضرمي	نخلة	رجب سنة ٢ هـ	الوصول إلي نخلة واستطلاع أخبار قريش كما نص على ذلك كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن الهدف قتل قريش	١ ـ أول قتيل من المشركين ٢ ـ أول أسير من المشركين ٣ ـ أول غنيمة للمسلمين ٤ ـ أول استعمال للرسائل المكتوبة

● تحالف المسلمون مع بعض القبائل المجاورة ·

● استطاع المسلمون التعرف على طبيعـة الأرض والطرق المحيطـة بالمدينة والمؤدية الى مكة وما فيها من قوى بشرية وموارد ·

٣ ـ حجم التحدي في بدر :

ولقد كان حجم التحدي الذي واجه المسلمين في بدر هائلا :

● فبدر أول معركة حاسمة بين المسلمين والمشركين ، وسوف تكون لنتائجها آثار بعيدة المدى على الدعوة وعلى مستقبلها وعلى هيبة المسلمين وهذا ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم حين هتف بربه : « اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض » ·

● ومن حيث حساب المقارنة بين القوتين ، كـان تفوق العدو ساحقـا على المسلمين ، فقد بلغت قوة المسلمين (٣٠٥) رجلا وكان معهم فرسان وسبعون بعيرا ، بينما بلغت قوة المشركين (٩٥٠) رجلا وكان معهم مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الابل ··· اي أن تفوق المشركين في العدد كان أكبر من نسبة ثلاثة الى واحد ، وتفوقهم في الخيل (سلاح الفرسان) كان بنسبة ساحقة مذهلة (١٠٠ : ١) وكذلك كان تفوقهم في أسلحة القتال بطبيعة الحال ·

موقف الطرفين قبل المعركة

اولا : المسلمون :

١ ـ خرج أبو سفيان أوائل الخريف من السنة الثانية للهجرة في تجارة كبيرة الى الشام ، وقد أراد المسلمون اعتراضها في غزوة « العشيرة » عند ذهابها الى الشام ولكنها تملصت منهم ·

وتحين المسلمون عودتها من الشام ، فبعث الرسول صلى الله عليـه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ينتظرانها ، حتى اذا وصلا « الحوراء » على طريق الشام ـ مكة مكثا هناك ، فلما مرت القافلة بهم ، أسرعا يخبران

النبي صلى الله عليه وسلم بأمرها . فندب الرسول صلى الله عليه وسلم للخروج وقال : « هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » .

٢ ـ تحركت قوات المسلمين من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وسلكت طريق القوافل بين المدينة وبدر (ويبلغ طوله حوالي ١٦٠ كيلومترا) .

٣ ـ وانطلق المسلمون مسرعين خوفا من افلات قافلة أبي سفيان منهم ، وبثوا عيونهم يتعرفون الأخبار ، فلما وصلوا قريبا من « الصفراء » بعث الرسول مفرزة استطلاعية لمعرفة أخبار قريش وقافلتها ، فلما وصل المسلمون « وادي ذفران » جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلتهم .

٤ ـ استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما بلغه من أمر قريش فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى « برك الغماد » (موضع في اليمن) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

فسكت الناس فقال الرسول : « أشيروا علي أيها الناس » ، وكان يقصد الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعوه منه أبناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على صد اعتداء خارج مدينتهم ، فقام سعد بن معاذ وقال : « لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ فقال : أجل » ـ قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينيك ، فسر بنا على بركة الله » .

٥ ـ وارتحلوا جميعا حتى اقتربوا من بدر فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم مفرزتي استطلاع للحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها وتأهب المسلمون لخوض المعركة وعسكروا في أدنى ماء من بدر فجاء الحباب بن

المنذر الى رسول الله فقال : « أرايت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الراي والحرب والمكيدة ؟ » .

قال : « بل هو الحرب والراي والمكيدة » .

قال الحباب : « يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ، فنعسكر فيه ، ثم نعور (٣) ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون » .

فنزل الرسول على راي الحباب وانتقل المسلمون الى حيث أشار وأنجزوا بناء الحوض وملأوه ماء ، ثم غوروا المياه الأخرى ، ثم أخذوا قسطهم من الراحة بقية الليل ليكونوا أقوياء في الصراع الوشيك .

ثانيا ـ المشركون :

١ ـ علم أبو سفيان بخروج المسلمين لاعتراض قافلته حين رحلته الى الشام ، فخاف أن يعترضوه حين عودته . فلما تأكد من خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه للتعرض لقافلته العزلاء الا من ثلاثين أو اربعين رجلا ، بعث ضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة ليستنفر قريشا الى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه . ولم تكن قريش في حاجة الى من يستنفرها ، فقد كان لكل فرد منها في العير نصيب . اذ ذاك قررت قريش الخروج خاضعة لراي دعاة الحرب وعلى رأسهم أبو جهل ، أشد الناس عداوة للمسلمين ، وعامر بن الحضرمي أخو عمر بن الحضرمي الذي قتله المسلمون في « نخلة » والذي يحرص على الأخذ بثاره .

٢ ـ وسبق أبو سفيان قافلته للحصول على المعلومات عن قوة المسلمين ومواضعهم ، فلما ورد ماء بدر وجد عليه مجدي بن عمرو ، فسأله : « هل رأى أحدا من المسلمين ؟ » فأجاب مجدي : « لم أر الا راكبين أناخا الى هذا التل » وأشار الى حيث أناخ الرجلان من المسلمين .. ففحص أبو سفيان مناخهما فوجد في روث بعيريهما نوي عرفة في علائف يثرب ، فأدرك أن الرجلين من أصحاب محمد ، وأن جيشه منه قريب ، فرجع الى القافلة ليغير طريقها نحو الساحل ، تاركا بدرا الى يساره ، وأسرع في مسيره حتى

بعدت المسافة بين القافلةر وبين قوات المسلمين ، وأرسل الى قريش يطلب منهم أن يعودوا أدراجهم الى مكة لنجاة قافلتهم من المسلمين .

٣ ـ وأرسلت قريش عمير بن وهب الجمحي ليستطلع لهم قوة المسلمين ، فرجع اليهم ليخبرهم أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلا ولا كمين لهم ولا مدد وقال : « قد رأيت يا معشر قريشا البلايا تحمل المنايا رجال يثرب تحمل الموت الناقع ... قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم ، والله ما نرى أن نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم ، فاذا أصابوا منكم عداءهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ » .

وتضاربت آراء قريش ، منهم من يريد الرجوع ومن هؤلاء بنو زهرة الذين رجعوا فعلا ، ومنهم من يريد البقاء وهؤلاء كان زعيمهم أبو جهل الذي قال : « والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فيقيم عليه ثلاثة ننحر الجذور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

٤ ـ وقصد حكيم بن حزام عتبة بن ربيعة فقال : « يا أبا الوليد ، انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك الى أن لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر ؟ » .

قال عتبة « وماذا يا حكيم ؟ » .

قال حكيم : « ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي » .

قال عتبة : « قد فعلت . أنت علي بذلك ، انما هو حليفي فعلي عقله (ديته) وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية ـ يقصد أبا جهل ـ فاني لا أخشى أن يشجر ـ أي يخالف بين الناس ويحملهم على قدم الوفاق ـ أمر الناس غيره » . قال حكيم : « فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته نثل درعا ـ أي أخرج درعه ـ من جرابها يهنئها ـ أي يتفقدها ويعدها للقتال ـ فلت : يا أبا الحكم ، ان عتبة أرسلني اليك بكذا وكذا » .

قال أبو جهل : « انتفخ والله سحره » (٤) ـ يقصد أن عتبة جبن ـ حين رأى محمدا وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين

محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه تخوفكم عليه » .

وبعث أبو جهل الى عامر بن الحضرمي فقال : « هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينيك ، فقم فانشد خفرتك (٥) » . فقام عامر ابن الحضرمي فاكتشف ، ثم صرخ « واعمراه ! واعمراه ! » .

ولما علم عتبة بقول أبي جهل : « انتفخ والله سحره » قال : « سيعلم مصفر استة ـ أي الجبان ـ من انتفخ سحره ، أنا أم هو » . ولم يبق مفر ولا مهرب من القتال .

سير المعركة :

١ ـ انتخب الرسول صلى الله عليه وسلم موضعا مشرفا على منطقة القتال في بدر وبنى فيه مقره ـ العريش ـ وأمن حراسته .

٢ ـ جرى ترتيب المسلمين في صفوف وساوى عليه الصلاة والسلام بينها وشجع أصحابه وحرضهم على الصبر في القتال .

٣ ـ وأصدر عليه الصلاة والسلام تعليماته للمقاتلين : « ان دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبال ، واستبقوا نبلكم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » وأمرهم ألا يحملوا عليهم حتى يؤذنوا .

٤ ـ بدأ المشركون الهجوم أولا ، اذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذي بناه المسلمون قائلا : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه » ، فتصدى له حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف ضربة أطارت نصف ساقه ، ومع ذلك حبا الى الحوض لاقتحامه ، وتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه .

٥ ـ برز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، فخرج اليهم فتية من الأنصار ، ولكن الرسول أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ، لأنهم من أهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم ، ولأن شجاعتهم وممارستهم للقتال معروفة ، لذلك فان

نجاحهم مضمون على رجالات قريش ، مما يرفع معنويات المسلمين ويضعضع معنويات المشركين ٠

بارز عبيدة عتبة ، وبارز علي الوليد ، وبارز حمزة شيبة ٠ فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وكذلك فعل علي ، وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر ، فكر علي وحمزة بأسيافهما على عتبة ، فأجهزا عليه واحتملا صاحبهما ٠

٦ – استشاط المشركون غضبا لهذه البداية السيئة ، فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم وهاجمتهم فرسانهم ، الا أن صفوف المسلمين بقيت صامدة في مواضعها تصوب نبالها على المشركين متوخية اصابة ساداتهم بالدرجة الأولى ، ولم يفطن المشركون لأسلوب المسلمين الجديد في القتال ، مما جعل رجالات المشركين تتهاوى بوابل نبال المسلمين المصوبة تصويبا دقيقا والمسيطر عليها ٠

٧ – ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه يقود صفوف المسلمين ، وأخذت هذه الصفوف تقترب رويدا رويدا من فلول المشركين التي فقدت قادتها ٠٠ حتى تبعثرت قوات المشركين ٠ وحينذاك فقط أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم أمره لقواته : « شدوا » فبدأت مطاردة المسلمين لفلول المشركين ، وأخذوا يجمعون الغنائم والأسرى ٠

٨ – ابتدأت معركة بدر صباح يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهت مساءه ، وبقي المسلمون ثلاثة أيام في بدر بعد المعركة ، ثم غادروها عائدين الى المدينة ٠

٩ – وكانت خسائر الطرفين كما يلي :

- المسلمون :

استشهد منهم أربعة عشر (ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار) (٦) ٠

- المشركون :

قتل سبعون رجلا وأسر سبعون أيضا ٠

تحليل المعركة من زاوية فن الحرب :

ونستعرض الآن ما يكشف عنه تحليل المعركة من مبادىء المدرسة العسكرية الاسلامية ونظرياتها وتعاليمها ..

١ ـ مراعاة مبدأ السرية والأمن والوقاية :

- في مسير الاقتراب راعى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون تشكيل المسير في هيئة مقدمة تقوم بالاستطلاع والوقاية ، ويليها القوة الرئيسية للجيش ، ثم مؤخرة بامرة قيس بن أبي صعصعة لوقاية ظهر الجيش .

- حينما اقترب الجيش من بدر ، انطلق الرسول صلى الله عليه وسلم أمام قواته وبصحبته أبو بكر ، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، قال الشيخ : « لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ » قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا أخبرتنا أخبرناك » .

علم الرسول من شيخ العرب أن عير قريش قريبة منه ، فقال له : « نحن من ماء » (٧) ثم انصرف وصاحبه عنه والشيخ يقول : « ما من ماء ؟ أمن ماء العراق » وهكذا لم يخبره الرسول عن هويته حتى لا تعلم قريش بمواضع المسلمين .

- وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر ، حتى لا يسمع لها صوت .

٢ ـ التخطيط على أساس احدث المعلومات وادقها :

ان المعلومات الحديثة والدقيقة من أهم المطالب الحيوية للتخطيط الجيد عامة وللتخطيط الحربي خاصة ، فحين اقترب المسلمون من بدر أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم مفرزتي استطلاع للحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها :

- **المفرزة الأولى :**

مؤلفة من علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه ، استطاعت الوصول الى ماء بدر ، وعادت ومعها

غلامان لقريش فاستنطقهما الرسول فعلم منهما أن قريشا وراء الكثيب « بالعدوة القصوى » ، ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش ، سألهما : « كم ينحرون يوميا ؟ » فأجابا : « يوما تسعا ويوما عشرا » فاستنبط من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف، وعرف من الغلامين كذلك أن أشراف قريش جميعا خرجوا للقتال .

- **المفرزة الثانية :**

مؤلفة من رجلين من المسلمين وصلا ماء بدر فسمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها : « انما تأتي العير غدا أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك » ، فعاد الرجلان فأخبرا الرسول بما سمعا .

- أضف الى ذلك حرص الرسول القائد صلى الله عليه وسلم على القيام بالاستطلاع بنفسه حينما انطلق أمام الجيش ومعه أبو بكر ولقيا شيخ العرب ـ كما ذكرنا ـ فعرف منه أن عير قريش قريبة منه .

٣ ـ قيادة موحدة وهدف واحد :

- كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القائد العام للمسلمين في بدر ، وكان المسلمون يقاتلون كرجل واحد لغاية واحدة ، وهذا عامل مهم من عوامل النصر في الحرب .

- أما المشركون فلم يكونوا كذلك ، فلم يكن لهم قائد عام ، فقد كان أكثر سراة قريش مع الجيش ، ولكن البارزين من هؤلاء على ما يظهر هما رجلان : عتبة بن ربيعة وأبو جهل ، وقد رأينا أنهما لم يكونا على رأي واحد حول مبدأ البقاء لقتال المسلمين ، ولم يكن لهما هدف واحد ، بل انهما كانا أقرب الى العداوة منهما الى الاخاء ، لذلك فقد طغت الأنانية الفردية على المصلحة العامة أثناء القتال ، وحاول كل رجل من رجالات قريش أن يظهر نفسه بطلا لتتحدث العرب عنه ، دون أن يكترث بأثر ذلك على نتائج المعركة .

٤ ـ الشورى في التخطيط للمعركة :

- لقد رأينا أن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن يبت في أمر الدخول في معركة مع المشركين حتى يستشير أصحابه فوجد منهم استعدادا للقتال رغم تفوق العدو ، فقرر دخول المعركة ٠

- ورأينا أيضا كيف نزل على مشورة الحباب بن المنذر وانتقل بالجيش الى حيث أشار ٠

وبذلك يضع الرسول القائد مبدأ هاما في اتخاذ القرارات والتخطيط ، هو الأخذ بالمشورة الصالحة وهو الذي أمره الله تعالى بذلك في قوله تعالى « وشاورهم في الأمر » ، والرسول حين يطبق قاعدة الشورى يعلمنا أن الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة يقترن بأية الابتكار والانشاء ، لأن القيادة الحسنة هي القيادة التي تستفيد من خبرة الخبير كما تستفيد من شجاعة الشجاع ، وهي التي تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام ٠

- ومن وجهة نظر علم الادارة والاستراتيجية العسكرية أيضا فان الشورى تحقق مبدأ هاما هو « اشتراك المنفذين في عملية التخطيط » ، وهو من أهم دعائم الكفاية في الأداء ، وفي انجاز الأعمال وتحقيق الأهداف ٠ وليس من شك في أن هناك فرقا كبيرا بين أن تكتفي القيادة باصدار القرارات التي يتعين على المرؤوسين تنفيذها ، وبين أن تحرص على اشراك هؤلاء المرؤوسين في عملية التخطيط قبل أن تصدر قرارات التنفيذ ، فالأسلوب الثاني يحقق فوائد جمة :

١ ـ فهو يجعل المنفذين أكثر تفهما للأهداف التي يراد تحقيقها ٠

٢ ـ ويضمن اهتمامهم وحماستهم وايجابيتهم في تنفيذ الخطة التي « ساهموا في وضعها » ٠

٣ ـ ويضمن كذلك « واقعية الخطة » ، لأنها انبثقت من « الطبيعة والواقع الميداني » وهذا بالتالي يضمن ألا تتعثر الخطة أثناء التنفيذ بسبب احتوائها على مهام يصعب تنفيذها ٠

- والواقع أن القيمة الحقيقية لأية خطة ، تكمن في واقعيتها وامكانية تنفيذها ، وقد أجمع الخبراء العسكريون وعلماء الادارة على أن

« الخطط ذات الشأن هي تلك التي يكون لديها فرصة أكبر في التنفيذ ، وتأسيسا على هذا ، فان مسئولية أجهزة التخطيط لا تنحصر في مجرد وضع الخطط ، وانما يلزم أن تتأكد من أن هذه الخطط قابلة للتنفيذ بحيث تتحقق الأهداف المتوخاة » (٨) .

٥ ـ احراز المبادأة في اختيار ارض المعركة :

ان من أهم ما يسعى اليه القائد المحنك ، هو أن يجر عدوه الى الدخول معه في معركة فوق أرض من اختياره هو ، فاذا أفلح في ذلك فانه يكون قد أحرز « نقطة تفوق » على عدوه ، لأنه سوف يستغل طبيعة تلك الأرض وتضاريسها ومواردها وخصائصها الطبوغرافية التي رأى وقدر ـ بحكم علمه وخبرته ـ أنها ستساعده على التغلب على عدوه في المعركة .

فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن نزل على مشورة الحباب بن المنذر ـ معسكر المسلمين للمعركة في موضع يتحكم به المسلمون في الماء ويحرمون عدوهم منها ، وبذلك خلقوا له موقفا من أشد المواقف قسوة في حرب الصحراء .

٦ ـ اختيار تشكيل القتال الذي يضمن سيطرة القائد :

لقد كانت قوة المسلمين محدودة العدد وكانت تواجه قوة تعادل ثلاثة أمثالها ، وهنا تعتبر سيطرة القائد مطلبا حيويا ، فالسيطرة تكفل حسن توجيه الطاقات والامكانات نحو الهدف المنشود ، وتمكن من الافادة منها واستثمارها الى أقصى حد ، كما تضمن تحقيق مبدأ « الاقتصاد في القوى » ، فلا يذهب من الجهد أو الطاقة أو الوقت شيء بلا طائل ..

والرسول القائد صلى الله عليه وسلم قد حقق السيطرة بصورة محكمة وشاملة :

- فنظم الجيش في كتيبتين ، كتيبة المهاجرين بقيادة علي بن أبي طالب ، وكتيبة الأنصار بقيادة سعد بن معاذ .

- وشكل الكتائب في صفوف منتظمة حرص على التأكد من تسويتها بنفسه ،

فانه حينما وجد رجلا اسمه سواد خارجا عن الصف ، أصلح من وضعه وقال لـه : « استو يا سواد » ·

- واتخذ الرسول القائد لنفسه مركز قيادة محددا ويشرف على المعركة ويستطيع منه ادارتها باحكام ·

- ولم يقاتل المسلمون بأسلوب الكر والفر المعروف والذي كانت تقاتل به قريش ، بل اتبعوا أسلوب القتال بالصفوف ، وهو أسلوب يضمن السيطرة للقائد على رجاله ، كما أنه يؤمن له احتياطا للطوارىء يعالج به المواقف التي ليست بالحسبان مما يضمن « استمرار » السيطرة ، أما أسلوب الكر والفر فيجعل القائد يفقد السيطرة ولا يؤمن لـه أي احتياط للطوارىء ·

- وأخيرا وليس آخرا أصدر الرسول القائد صلى الله عليه وسلم تعليماته القتالية « ان دنا القوم منكم ··· الخ » ، فجاءت محتوية على كل ما يضمن له السيطرة التامة على الجيش في مراحل القتال المختلفة وعلى ما يجعل المسلمين لا يقومون بأي عمل الا بأمر منه ·

٧ ــ استغلال طاقات كل سلاح الى أقصى حد ممكن :

حدد الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليماته القتالية مراحل استخدام أسلحة القتال في احكام ووضوح بحيث يضمن استغلال طاقات كـل سلاح الى أقصى حد ممكن :

- فيبدأ المسلمون أولا بقذف النبال «ان دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبال» والنبال هي السلاح « بعيد المدى » ·

- فاذا ما اقترب العدو الى حد « الالتحام » يتحولون الى السيف « سلاح الالتحام » « ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » ·

٨ ــ الاقتصاد الشديد في الذخيرة :

« واستبقوا نبلكم » ·· هذا الأمر معناه تأخير قذف السهام حتى يقترب العدو ، ولما كانت النبال أصلا قليلة العدد لقلة عدد الجيش ، فان المسلمين

اذا أطلقوها والعدو بعيد ، فسوف يطيش منها الكثير لعدم دقة التصويب على البعد ، أما تأخير قذفها فهو يحقق هدفين في وقت واحد :

- دقــة الاصابــة ٠
- واقل استهلاك في النبال ٠

والمدهش في الأمر (٩) ينطوي على قاعدة يعرفها العسكريون اليوم هي « كبت النيران » في الدفاع ، فالرصاص الذي تطلقه البندقية الحديثة يمكن أن يصل الى مدى ١٠٠٠ ياردة على الأقل ، لكن أصول الرمي في الدفاع تقضي بأن « يكبت » المدافعون نيران بنادقهم الى أن يصل العدو المهاجم الى مسافة ٢٠٠ ياردة – أو ربما أقل – من مواقعهم ، وذلك حتى يضمنوا دقة الاصابة مع الاقتصاد في الذخيرة ٠ ويتطابق مع هذا المبدأ مبدأ « تحقيق الأهداف بأعلى قدر من الكفاية وبأقل التكاليف » وهو من أهم مبادىء علم الادارة ٠

٩ – تكبيد العدو اكبر الخسائر في اقصر وقت :

وهو أمر يتحقق نتيجة اتباع تعليمات الرسول القتالية كما يلي :

- فتأخير قذف السهام يضمن ألا يطيش مـن سهام المسلمين سهم ، وأن يكون كل سهم برجل ٠
- وسيطرة القائد المحكمة على الرمي من حيث « التوقيت » ، تؤدي الى انطلاق السهام بأكبر حشد كأنهـا صادرة مـن قوس واحدة ، وفي زمن قصير (١٠) ، مما يؤدي الى تساقط أعداد كبيرة من العدو صرعى في أقصر وقـــت ٠

١٠ – المباغتة باسلوب جديد في القتال :

ان مفهوم المباغتة في العلم العسكري هو « احـداث موقف لا يكـون العدو مستعدا له » ، وللمباغتة آثار مادية ومعنوية تزعزع الكفاءة القتالية للجيش الذي يتعرض لها ٠ وتتخذ المباغتة أشكالا متعددة ، فقد تكـون في « وقت الهجوم » أو « مكانه » وقد تكون في « الأسلوب » وهو ما فعله الرسول صلى

الله عليه وسلم في بدر بالقتال بأسلوب الصفوف وهو ما لم تتوقعه قريش التي كانت تقاتل بأسلوب الكر والفر ، فكان للمباغتة أثرها على نتيجة المعركة ·

والتغيير والتطوير في الأسلوب آية من آيات القيادة الفذة التي لا تجمد فكرها على الأساليب المعروفة أو الموروثة ، بل تبحث دائما عن الجديد وعن الأفضل · يقول ونترنجهام في كتابه « الأسلحة والتكتيكات » (١١) : « ان بعض الجماعات الانسانية بطيئة التغير ، وهي تنتظم على سنن فحواها أن التغيير لا ينبغي ، وأن العادات المأثورة كلها حسنة قويمة ، وأن كل ما يعمل الآن خليق أن يعمل كما قد عمل منذ أزمان ، فاذا برزت جماعات من هذا القبيل للقتال ، برزت وفي رؤوس قوادها وجنودها فكرة عتيقة عن الحرب وحقيقتها ولم يغيروا خططهم وآراءهم للانتفاع بسلاح جديد أو معرفة جديدة ، ورسخت عندهم أصول رجعية للحرب أو لم تكن لهم فيها أصول على الاطلاق ، ولكنهم يمضون بحكم العادة وفاقا للترتيب الذي وضع منذ عهد بعيد ، **وان هذه الجماعات لتخرج جيوشا ليس أسهل من تحطيمها بجيوش الأمم التي يسهل عليها اتخاذ الأساليب الجديدة ومواجهة الغير والطوارىء** » ·

١١ ـ الاخلال بالتوازن النفسي والمادي للعدو :

يجمع رجال الاستراتيجية العسكرية على أن الاخلال بالتوازن النفسي والمادي للعدو من أقوى أسباب النصر · وفي ذلك يقول الخبير الحربي « ليدل هارت » (١٢) في كتابه عن استراتيجية الاقتراب غير المباشر : « ينبئنا التاريخ العسكري في جميع العصور لا في عصر واحد ، وفي جميع الحروب الحاسمة على التقريب ، أن الاخلال بتوازن العدو نفسيا وماديا هو المقدمة التي لا محيص عنها للقضاء عليه » ·

هذا المبدأ يقترب مما حققه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم في بدر كما يلي :

- فهذه أول مواجهة عسكرية حاسمة بين المسلمين والمشركين ·
- وقريش تحس بتفوقها الساحق (٣ : ١) وهي مزهوة به ·

- ومن طبيعة الأعراب أن للضربة الأولى أثرا حاسما على نفسيتهم ، فتساقط قتلاهم بأعداد كبيرة وفي وقت قصير بفعل سهام المسلمين المصوبة بدقة والمنطلقة في حشد كبير كأنها صادرة عن قوس واحدة ، سوف يصيبهم بصدمة مدمرة لمعنوياتهم ‥ يقول شارنهورست في كتابه « التكتيك » : « **ان عشرة رجال يسقطون معا** في ميدان المعركة ، يجبرون فوجا (حوالي ١٠٠٠ رجل) على التراجع بصورة مؤكدة ، **أكثر من خمسين جريحا يسقطون تدريجيا** في أماكن مختلفة » .

- أضف الى ذلك أن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم حرص عند تعيينه لمن يخرج للمبارزة التي سبقت القتال العام ، على أن يختار ذوي الكفاءة العالية في القتال ومن يتصفون بالشجاعة الفائقة وذلك لكي يكون نجاحهم على رجالات قريش مضمونا فيهز بذلك معنويات المشركين ويضعفها ويرفع في الوقت نفسه معنويات المسلمين قبل أن تبدأ المعركة ، فقد رأينا كيف أعاد الفتية الذين خرجوا من الأنصار للمبارزة وعين بدلهم عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ‥

ولقد تحقق للرسول ما أراد فقد قتل مبارزوا قريش جميعا فكانت بالنسبة اليها بداية سيئة لها ـ ولا شك ـ أثرها في المعركة .

١٢ ـ احداث الارتباك الاستراتيجي في العدو :

لقد اجتمعت في بدر عدة عوامل كان لها فاعلية أكيدة في احداث الارتباك الاستراتيجي في المشركين :

- المباغتة بأسلوب القتال بالصفوف .

- توجيه تكتيكات القتال والرمي (تنفيذا لتعليمات الرسول القتالية) نحو الحصول على نتيجة حاسمة مثل تكبيد العدو خسائر كبيرة في أسرع وقت .

- سيطرة المسلمين على الماء وحرمان العدو منها .
- التهديد الموجه الى قافلة قريش التجارية التي هي عصب حياتها .

ويحلل العسكريون الآثار المادية والمعنوية التي تنتج عن هذا الارتباك نذكر بعضا منها فيما يلي :

١ ـ احداث انطباع مفاجىء في أذهـان القادة بأنهم يواجهون موقفا سيئا ٠

٢ ـ فرض حالة من التشتت والتمزق النفسي تنبع مـن احساس القادة بوقوعهم في « مصيدة » يصعب التخلص منها ٠

٣ ـ خلق الشعور بالعجز عن القيام بعمل مضاد لحركة الطرف الآخـر ٠

١٣ ـ تعبئة معنويات المسلمين لأقصى حد :

والى جانب حرص الرسول القائد صلى الله عليه وسلم في تخطيطه وادارته للمعركة في بدر علـى تدمير معنويات المشركين ، فقد ظهر حرصه الشديد على رفع معنويات رجاله الـى أقصى حد ، ولا مراء في أن العقيدة الراسخة التي تملأ قلوب المسلمين ووجدانهم لا تحتاج الى بيان ، وانما نخص بالذكر هنا ما فعله الرسول القائد صلى الله عليـه وسلم قبل المعركة وفي أثنائها لتعبئة معنويات المسلمين وحشدها :

- فقد خطب الناس قبل المعركة وحضهم على القتال وقال : « أما بعد فاني أحثكم على ما حثكم الله عليه ٠٠ الى أن قال : وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي من الغم » ٠

- وقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبـلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنـــة » ٠

وقد ألهب هذا الحديث حماسة المسلمين للقتال ، وزاد في قوتهم المعنوية حتى استشهد رضي الله عنه ٠

ورمى قطبة بن عامر حجرا بين الجيشين وقال : لا أفر الا ان فر هذا الحجر ، وذلك دليل على عزمه الأكيد على الثبات حتى يقضي الله أمرا كان

مفعولا .. بل هناك ما هو أغرب وأقوى من ذلك ، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان من المشركين وفي ذلك يقول الله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » (المجادلة ٢٢) ولم تكن معنويات الكبار الذين مارسوا الحرب وعرفوها من المسلمين هي العالية فحسب ، انما كانت معنويات الأحداث الصغار الذين لم يمارسوا حربا ولا قتالا عالية أيضا ، يقول عبد الرحمن بن عوف : « اني لفي الصف يوم بدر ، اذ التفت فاذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن ، فكأني لم آمن بمكانهما ، اذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه : يا عم ، أرني أبا جهل . فقلت : يا ابن أخي ، ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله ان رأيته أن أقتله أو أموت دونه ..

وقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله ، فأشرت لهما اليه ، فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه » ، وقد استشهد هذان البطلان في بدر ، وهما أبناء عفراء : عوف بن الحارث الخزرجي الانصاري ومعوذ بن الحارث الخزرجي الانصاري .

هذا وان صور البطولة والفدائية في رجال جيش الاسلام لأكثر من أن تحصى .

١٤ ـ استخدام القناصة :

في أثناء المعركة أمر بعض المسلمين بتوجيه كل همهم لاصطياد زعماء قريش وساداتها من بين صفوف الأعداء واستئصالهم . والعلم العسكري اليوم يطلق اسم « القناصة » على أولئك الذين يكلفون باصطياد قادة العدو لكي تحدث بقتلهم صدمة وارتباك في صفوف الأعداء ، ولكن اذا كانت القاعدة الحديثة في اختيار القناصة هي توفر المهارة في الرماية ودقة الملاحظة فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أضاف الى ذلك عاملا جديدا هو الدافع الذاتي الذي هو أقوى الدوافع على الاطلاق ، فقد اختار بلالا مثلا لاصطياد أمية بن خلف وهو من كبار قريش وكان يتفنن في تعذيبه بسبب اعتناقه الاسلام في أيام ظهوره ، فكان يأخذه الى الصحراء في القيظ ويضجعه على ظهره ويضع صخرة عظيمة على صدره ليرجع عن اسلامه ، ولكن بلالا كان يردد قولته المشهورة « أحد أحد » .. وكذلك اختار الرسول ابن الصفراء لقتل أبي جهل لمثل ذلك .

١٥ ـ ذكر الله في ساحة المعركة :

يوجه الاسلام المجاهدين الى ذكر الله في ساحة المعركة بعد أن يأخذوا بأسباب القوة والتجهيز للقتال كما في قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (الأنفال ٤٥) .

وكما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: « واطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش واقامة الصلاة ونزول الغيث » .. وقوله « ثنتان لا تردان أو قلما تردان : الدعاء عند الندا وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا » .

ويعلمنا الرسول صلى الله وسلم انـه **ليس في الاسلام ذلك التواكل العاجز الذي يدع الأخذ بالأسباب وينتظر النصر منحة من القدر ، وهبة من السماء ، فكان عليه الصلاة والسلام يحكم أمر الجهاد من الناحية المادية احكاما دقيقا من حيث تجهيز الجيش واستطلاع أخبار العدو واعداد الخطة وانتخاب افضل موضع للمعركة ، ثم يأخذ هو والمحاربون في الدعاء والتضرع واستنجاز** الله وعده . ففي غزوة بدر بعد أن أتم الاستعداد للمعركة ، استقبل القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه ويقول : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم ان تهلك هـذه العصابة مـن أهـل الاسلام لا تعبد في الأرض » وما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه .

١٦ ـ آداب الحرب في الاسلام تسبق القانون الدولي :

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنقل قتلى قريش من مكان المعركة الى مكان متسع منخفض يسمى بالقليب ودفنهم فيه ، ولقد كان من المعتاد في هذه الأزمنة أن يمثل المنتصر بجثث عدوه المغلوب بقصد التشفي ، ومن طرق التمثيل بالقتلى جدع الأنف وصلم الأذن وبقر البطن وغيرها ، ولكن النبي الكريم وضع الأسس الكريمة لمعاملة قتلى العدو فأمر بدفنهم ولم يفعل ما اعتاد الناس فعله في هذا الزمن .

أما الأسرى فقد فادى الرسول أغنياءهم بالمال فكان الواحد منهم يدفع ما بين الألف درهم الى الأربعة آلاف .. أمـا فقراء الأسرى فأطلق سراح بعضهم دون مقابل ، كما كلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة ثم أطلق سراحهم بعد ذلك . وقد فرق الرسول الأسرى بين أصحابه ليحرسوهم في رحلة العودة الى المدينة وقال لهم : « استوصوا بهم خيرا » .

يقول أبو عزيز بن عمير وكان من أولئك الأسرى : « كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز ، الا نفحني بها ، فأستحي ، فأردها على أحدهم ، فيردها علي ، ما يمسها » . وهكذا يعامل الاسلام الأسرى بالحسنى، ويبين أن التصرف معهم يكون اما باطلاق سراحهم والعفو عنهم وهو (المن) واما بأخذ العوض اما بالمال أو تبادل الأسرى وهو (الفداء) يقول الله تعالى .. فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » (محمد ـ ٤) .

وللاسلام السبق في ايجاد نظام شامل للحرب يتسم بالرحمة والعدل وحسن المعاملة،وهذا ثابت مما تضمنه القرآن والسنةالعملية والقوليةوأعمال الخلفاء من تقنين شامل للحرب منذ أربعة عشر قرنا ، في حين أن القواعد المنظمة للحرب في القانون الدولي الأوروبي بدأت منذ ثلاثة قرون فقط وأخذت من الشريعة الاسلامية ، وظلت لدى أوروبا قواعد عرفية بحتة حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (١٣) حيث بدأت الدول تدوينها في معاهدات أولها تصريح باريس البحري سنة ١٨٥٦ ، ثم اتفاقية جنيف لمعاملة جرحى ومرضى الحرب سنة ١٨٦٤ ، ثم تصريح سانت بطرسبرج بتحريم رصاص دمدم المتفجر ثم اتفاقيتا الحرب البرية والبحرية من اتفاقات مؤتمر لاهاي في سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٧ ، واتفاقية واشنجتن عام ١٩٢٢ عن حرب الغواصات والغازات ، ثم اتفاقات جنيف الأربعة سنة ١٩٤٩ الخاصة بمعاملة جرحى وأسرى الحرب وحماية الأشخاص المدنيين .. ويلاحظ أنها لا تطبق الا في حالة قيام الحرب بين دولتين موقعتين على المعاهدة أو الاتفاقية ، والا فلا رحمة ولا قواعد للحرب بل القتل والنهب والسلب للمحاربين وللمدنيين غير المحاربين ..

١٧ ـ خلق القائد وشجاعته :

- في مسير الاقتراب الى بدر قسم الرسول صلى الله عليه وسلم الابل المتيسرة (وعددها سبعون بعيرا) بين أصحابه وكان من نصيبه مع علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي ، بعير يتعاقبونه (أي يتناوبون ركوبه) .

قال شريكا الرسول في البعير : « نحن نمشي عنك » . فقال : « ما

أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » وأراد بذلك المساواة مع أي فرد من قواته .

- ولما كان الرسول يعدل صفوف المسلمين للمعركة ووجد سوادا خارجا عن الصف طعنه بعصا خشبية كانت في يده وقال : « استو يا سواد » ، فقال الرجل : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالعدل والحق فأقدني (أي مكني من القصاص من نفسك) ، فكشف النبي عن بطنه وقال : « استقد » (أي خذ القصاص) فتأثر الرجل وقبل بطنه الشريف ... تلك صورة رفيعة لخلق القائد وعدالته وحسن معاملته لرجاله .

- أما عن شجاعته صلى الله عليه وسلم فيقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « كنا اذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ، ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا الى العدو » . وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « والله كنا اذا حمي الوطيس نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الشجاع الذي يحاذي به » .

ثم ان قيامه عليه الصلاة والسلام بتولي القيادة بنفسه ، شجاعة لا تؤثر أن تتوارى حيث يتاح لها أن تتوارى ..

ولا عجب ، فالرسول القائد عليه الصلاة والسلام هو المثل الكامل والقدوة المثلى كما يقول الله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » ، ولقد استوفى عليه السلام مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها انسان قبله ولا بعده حتى خاطبه الله بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » ، وقد حدث هو عن نفسه فقال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

النصر في بدر بالمقياس العلمي :

- من أهم المبادىء المعروفة في العلم العسكري هو أن « الهدف الأساسي للقيادة العسكرية هو الحصول على النصر في الحرب بدون أو بأقل خسائر ممكنة في الأرواح وفي المعدات وفي أقل وقت » .

- وعلى هذا الأساس فان النصر الذي يدفع فيه الجيش ثمنا أكبر من اللازم من الأرواح والمعدات ويستنفد فيه وقتا أطول من اللازم ، لا يعد نصرا حقيقيا بالمقياس العلمي ٠

- ولقد كان انتصار المسلمين في بدر انتصارا حقيقيا بالمقياس العلمي ، بل انه يتعدى المقياس العلمي بالنظر الى الخلل في التوازن بين القوتين بسبب تفوق المشركين الساحق في العدد والعدة ٠

- وذلك أمر لا بد للأمة العربية والاسلامية أن تقف أمامه بالتأمل والتحليل ، لتدرك ما ينطوي عليه من مغزى عميق يتصل اتصالا مباشرا بأمن الأمة وسلامتها في حاضرها ومستقبلها ٠

الدرس العظيم :

- فان منتهى أمل أية دولة عصرية هو أن تحصل على النصر على عدوها ـ اذا وقعت الحرب ـ بأقل الخسائر وفي أقصر وقت ، وقد زاد من أهمية هذا الهدف التقدم المذهل في العلوم والتكنولوجيا ، وما أحدثه من تطور رهيب في أسلحة الحرب ووسائل التدمير وفي شكل الحرب وفنون القتال ٠

- واذا كان الحصول على النصر بأقل الخسائر هو هدف القيادة في الدول المتقدمة ، فهو ـ من باب أولى ـ بالنسبة للدول النامية أو محدودة القدرات والموارد يعد أهم وأكبر أهدافها ، وذلك حتى لا تستنزف مواردها وقواها من أثر الحرب ٠

- على أن الأمر يزيد أهمية وخطورة ، لو حكمت ظروف الدولة الاستراتيجية بأن تتصدى لعدو متفوق عليها في القوة ٠٠ فهنا يصبح الحصول على النصر وبأقل الخسائر قضية مصير ، ومسألة حياة أو موت ، لا بد أن توضع على قمة الأهداف الاستراتيجية لتلك الدولة ، ولا بد أن تسخر كل طاقاتها المادية والمعنوية لتحقيقه ٠

- **ولعل النصر العظيم الذي نستخلصه من النصر المبين في غزوة بدر هو :**

١ ـ أن تجعل الأمة الاسلامية بناء الروح المعنوية وارادة القتال على رأس أهدافها الاستراتيجية العليا بالعقيدة الراسخة وبتجسيد الخطر المحدق بالأمة

من أعدائها ، وبذلك تستطيع أن تضع الروح المعنوية في تخطيطها الاستراتيجي على أنها من أكبر العوامل التي تحدث التوازن في القوى في مواجهتها لعدو متفوق « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » (٦٥ ـ الأنفال) ٠

ولقد أثبتت بدر وما تلاها من غزوات أن المسلمين كانوا يواجهون عدوا أكبر منهم قوة ، وأن الروح المعنوية وارادة القتال من أقوى دعائم النصر ٠

٢ ـ أن تملك الأمة الاسلامية زمام الحرب النفسية التي تستهدف تدمير الروح المعنوية للعدو وبذلك تتمكن من احداث التوازن في القوى من خلال « **خفض** » معنويات العدو مع « **رفع** » معنويات رجالها في الوقت نفسه ٠

٣ ـ أن تجعل الأمة الاسلامية « الادارة والقيادة العلمية » منهجا لها في السلم والحرب على حد سواء ٠

لقد كانت بدر قمة في « الادارة والقيادة العلمية » وأثبت الرسول صلى الله عليه وسلم بالبرهان العملي كيف أن القوة الصغيرة تستطيع بالادارة السليمة أن تقهر قوة متفوقة عليها لكنها تفتقر الى ذلك العنصر ٠ ان كل ما ذكرناه في تحليلنا للمعركة ناطق بأرقى درجات التنظيم والكفاءة في الادارة سواء في مرحلة التخطيط للمعركة أو في أثناء ادارتها فكان ذلك أيضا من أهم أسباب النصر ٠٠

وبعد ٠٠

فعلى الأمة الاسلامية ألا تذهب بعيدا للبحث عن نظرية تحقق لها في عصرنا الأمن والسلامة وبناء القوة التي تحميها وتدفع العدوان عنها ، فان بين يديها كتاب الله ، وان لها من تعاليم دينها ، ومن تاريخها العسكري ، ما يغنيها ٠

ويبقى أن تتمسك بدينها وأن تعمل بدروس تاريخها ، حتى تستطيع أن تبني الجيوش التي لا تقهر ، وأن تتبوأ المكانة اللائقة بها ، وأن تعود الى سابق عهدها أمة مرهوبة الجانب ، وخير أمة أخرجت للناس ٠

لواء محمد جمال الدين محفوظ

مراجع الدراسة

١ ـ سيرة ابن هشام

٢ ـ السيرة الحلبية

٣ ـ السيرة النبوية والآثار المحمدية ـ احمد زيني دحلان .

٤ ـ الجهاد ـ كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية .

٥ ـ حياة محمد ـ د. محمد حسين هيكل .

٦ ـ عبقرية محمد ـ عباس محمود العقاد .

٧ ـ عبقرية خالد ـ عباس محمود العقاد .

٨ ـ القرآن والقتال ـ الشيخ محمود شلتوت .

٩ ـ آداب الحرب في الاسلام ـ الشيخ محمد الخضر حسين .

١٠ ـ هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة ـ الشيخ علي محفوظ .

١١ ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ـ د. احمد شلبي .

١٢ ـ الرسول القائد ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب .

١٣ ـ الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام ـ المستشار علي علي منصور .

١٤ ـ اتفاقيات جنيف لحماية ضحايا الحرب .

١٥ ـ أصول الادارة العامة ـ د. عبد الكريم درويش ـ د. ليلى تكلا .

١٦ ـ مدخل الى الاستراتيجية العسكرية ـ الجنرال اندريه بوفر (تعريب اكرم ديري) .

١٧ - الردع والاستراتيجية - الجنرال اندريه بوفر (تعريب اكرم ديري) .

١٨ - الذكاء والقيم المعنوية في الحرب - الجنرال جان بيريه (تعريب اكرم ديري - الهيثم الايوبي) .

١٩ - الجندية في صدر الاسلام - للكاتب

٢٠ - المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية - للكاتب

٢١ - The Encyclopedia of Military History
(Ernest Dupuy & Trevor N. Dupuy).

٢٢ - War Through The Ages (Lynn Montross).

٢٤ - The Arabs, A Short Hisrtoty (Philip K. Hiti.)

٢٥ - Psychology for the Fighting Man (Maj. Qamar Hasnain).

٢٣ - Strategy pf Indirect Approach (Liddel Hart).

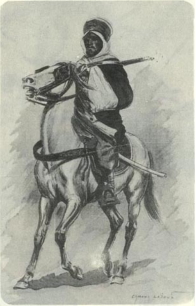

لقد ظل حب العرب للخيل متاصلا في قلوبهم من الجاهلية حتى جاء الاسلام وبعث الله نبيه الكريم (صلعم) ، فامره باتخاذ الخيل وارتباطها ، لما جاء في كتابه المنزل « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون، عدو الله وعدوكم » ، فاتخذها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وحض المسلمين على ارتباطها .

الهــــوامش

١ ـ السيرة النبوية ـ احمد زيني دحلان ـ ص ٣٦٠ .

٢ ـ انظر التفصيل في المصادر التالية : (على سبيل المثال) :
ـ صفحة ١٩٩ الى ٢٠١ من كتاب : TehEnsyclopedia of Military History
(By Ernest Dupuy & Trevor N. Dupuy,)
ـ وصفحة ١٢٠ الى ١٢٣ من كتاب : The Arabs, A Short History
(By Philip K. Hitti).
ـ وصفحة ٤٣ الى ٤٦ من كتاب : War Through The Ages
(By Lynn Montross).
ـ وصفحة ٤٠٥ من دائرة المعارف البريطانية ، ج٢ .

٣ ـ تعور : تروى بالعين المهملة بالمعنى نفسه ، وتروى بالغين المعجمة بمعنى نجعله يغور في الارض (وهو قريب من سابقه) .

٤ ـ سحر : الرئة وما حولها .

٥ ـ الغفر : بضم الخاء او فتحها هو العهد ، وانشدها اي أذكرها .

٦ ـ وهم : عبيدة بن الحارث ابن المطلب وعمير بن أبي البكير ومهجع مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء وسعد بن خيثمة ومبر بن عبد المنذر وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا عفراء وعمير بن الحمام ورافع بن معلي ويزيد بن الحارث بن فسحم وذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي .

٧ ـ اي من ماء دافق وهو المني (السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص ١٥١) .

٨ ـ انظر « أصول الادارة العامة » ـ د. عبد الكريم درويس ـ د. ليلي تكلا .

٩ ـ ١٠ ولقد سار المسلمون على هذا النهج بعد ذلك ، فقد ورد في شرح القسطلاني ، ج٥ ، ص ٩٤ وعيون الأخبار ، ج١ ، ص ١٠٧ « ان العدو اذا زحف ، أمهله رماة المسلمين حتى يكون في متناول السهام ، ثم أمطروه بوابل من سهامهم وهم جاثون على ركبهم جماعات جماعات ، بحيث تخرج سهامهم مجتمعة كانها صادرة عن قوس واحدة » .

١١ ـ Wintringham: Weapons and Tactics.

١٢ ـ Liddel Hart: The Strategy of Indirect Approach.

١٣ ـ انظر « الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام » ـ المستشار علي علي منصور .